

صيد الخاطر

67 - _ فصل : في الأسباب و المسببات .

قلوب العارفين يغافر عليها من الأسباب و إن كانت لا تساكنها لأنها لما إنفردت لمعرفتها
أنفرد لها بتولي أمرها .

فإذا تعرضت بالأسباب مجرى أثر الأسباب : { و يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا } .

و تأمل في حال يعقوب و حذره على يوسف عليهم السلام حتى قال : { أخاف أن يأكله الذئب }
قالوا : { أكله الذئب } .

فلما جاء أوان الفرج خرج يهودا بالقميص فسبقه الريح { إني لأجد ريح يوسف } .

و كذلك قول يوسف عليه السلام للساقي : { اذكوري عند ربك } فعوقب بأن لبث سبع سنين و إن
كان يوسف عليه السلام يعلم أنه لا خلاص إلا بإذن الله و أن التعرض بالأسباب مشروع غير أن
الغيرة أثرت في العقوبة .

و من هذا قصة مريم عليها السلام { و كفلها زكريا } فغار المسبب من مساكنة الأسباب {
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا } .

و من هذا القبيل ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [أبي الله أن يرزق عبده
المؤمن إلا من حيث لا يحتسب] .

و الأسباب طريق و لا بد من سلوكها و العارف لا يساكنها غير أنه يجلي له من أمرها ما لا
يجلي لغيره من أنها لا تساقن و ربما عوقب إن مال إليها و إن كان ميلا لا يقبله غير أن أقل
الهفوات يوجب الأدب و تأمل عقبي سليمان عليه السلام لما قال : [لأطوون الليلة على مائة
إمرأة تلد كل واحدة منها غلاما و لم يقل : إن شاء الله فما حملت إلا واحدة جاءت بشق غلام]

و لقد طرقني حالة أوجبت التشتبث ببعض الأسباب إلا أنه كان من ضرورة ذلك لقاء بعض الظلمة
و مداراته بكلمة فيبينا أنا أفكر في تلك الحال دخل علي قارئ فاستفتح فتفاءلت بما يقرأ
فقرأ { و لا تركنا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار و ما لكم من دون الله من أولياء ثم لا
تنصرون } .

فبهت من إجابتي على خاطري و قلت لنفسي : إسمعي فإني طلبت النصر في هذه المداراة
فأعلمني القرآن أنني إذا ركنت إلى طالم فاتنى ما ركنت لأجله من النصر .

فيما طوبي لمن عرف المسبب و تعلق به فإنها الغاية القصوى فنسأله الله أن يرزقنا

